الجمعة ٨/ربيع الآخر/ ١٤٣٨هـ
الموافق ٦/يناير/ ٢٠١٧م السنة ٨٧ العدد ٢١٨٠٦

صوت الحجاز ١٣٥٠ - ١٣٦٠
البلاد السعودية ١٣٦٥/٢ - ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٨٣
البلاد ١٤٣٤

هذه المواد نشرت بتاريخ ٧ / ١ / ١٣٨٣هـ

## صور من التاريخ

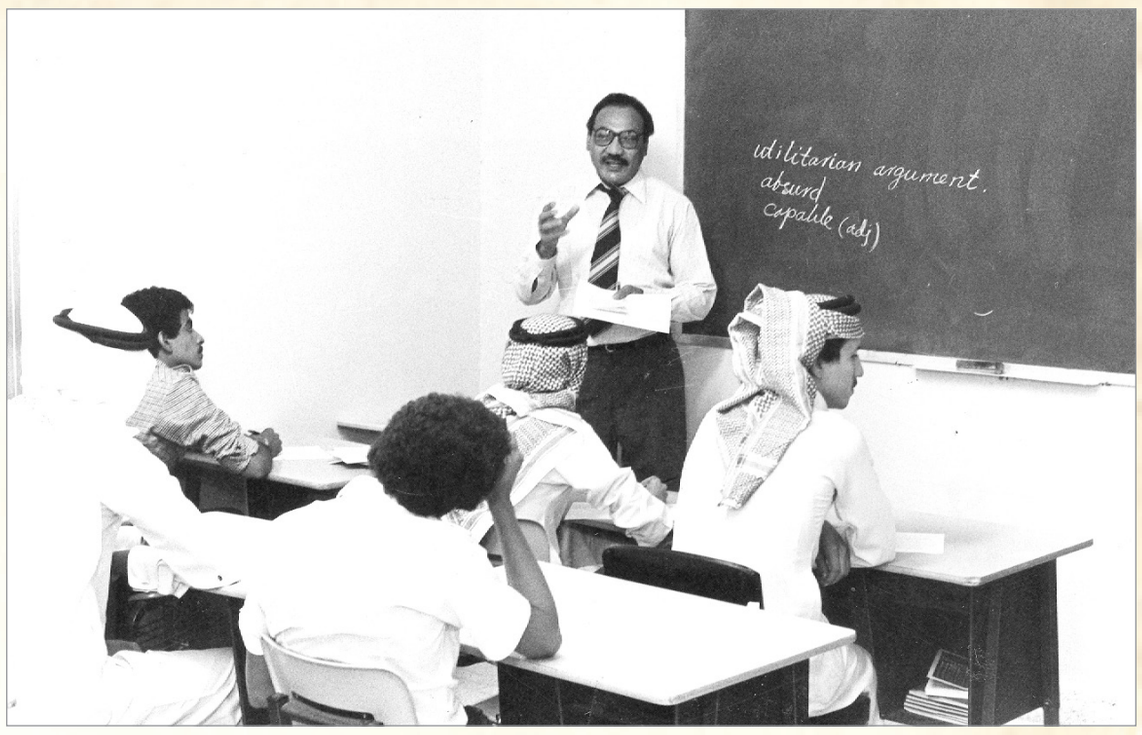


طلبة البرنامج الاساسي للمتدربين في حصة اللغة الانجليزي بمعهد الادارة

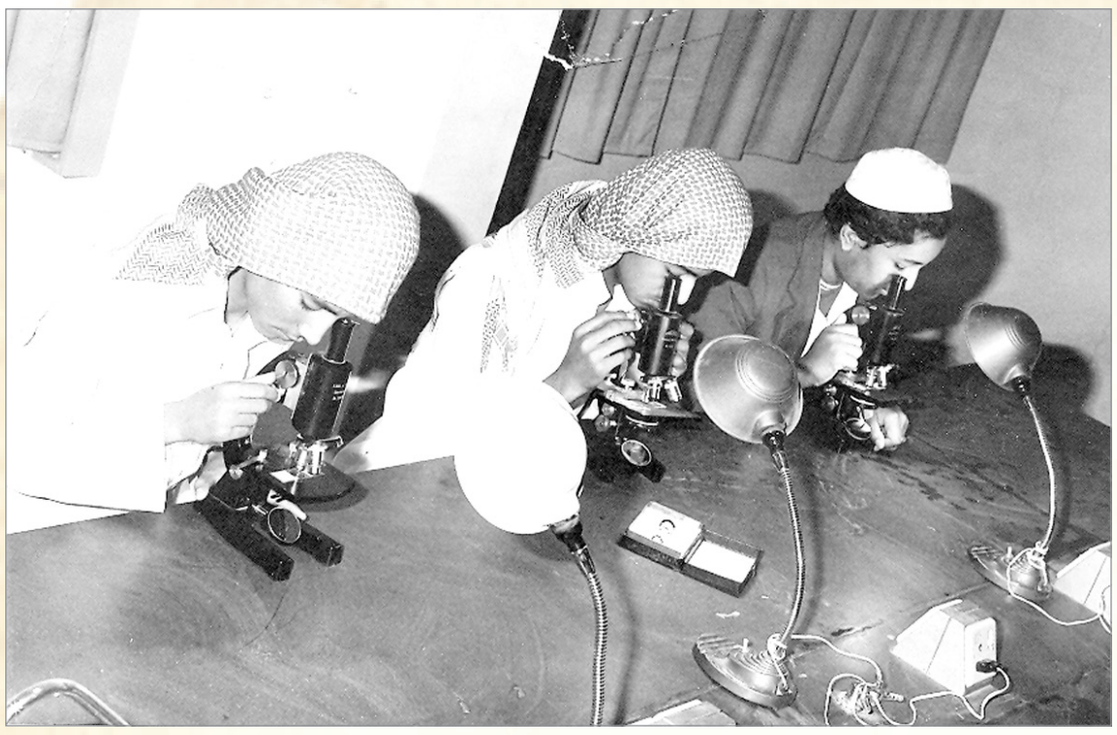

مختبر للتدريب في الجامعة

# رحالة .. أديب

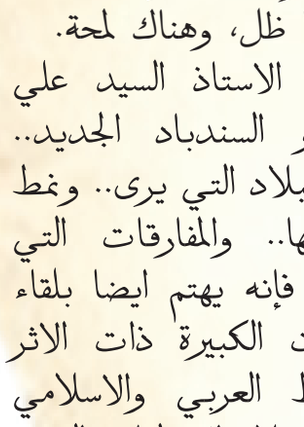

بقلم: عبدالعزيز الرفاعي

علي فدعق

طفقت أبحث في مكتبتي الصغيرة عن أي كتاب عن الأندلس.. كنت أريد ان اغذي معلوماتي القديمة عن الفردوس المفقود.. بروافد جديدة.. وكان أول كتاب صادفني أو صادفته.. هو رحلة الأندلس لمحمد لبيب البتنوني وكنت أعرف لهذا المؤلف رحلته الى الحجاز.

وتناولت الكتاب.. كما يتناول الجائع شيئا من الساندوتش الذي يعتقد أنه لا يسد حاجته الى غذاء كامل دسم، وإنما يصبره الى حين.. ولكن الكتاب، والحق يقال، كان أكثر من ساندوتش، كان مائدة خفيفة لطيفة.. سهلة الهضم، لا تشكو بعدها من تخمة.. كما لا تشكو بعدها من جوع.. والبتنوني، كما عرفت من كتابه، كان أحد محرري جريدة الاهرام - أيام زمان - قام برحلة الى الاندلس أو الى اسبانيا قبل اربعين سنة تقريبا، ويمثل الكتاب مجموعة رسائله الى الاهرام - أيام زمان - قام برحلته ضمنها وصفا لرحلته وتنقلاته ومشاهداته في اسبانيا التي عربها العرب زهاء ثمانية قرون ثم رحلوا عنها وظلت آثارهم ناطقة على أمجادهم الباذخة.

ولكن رسائل البتنوني الى جريدته، لم تكن وصفا محضا لما شاهد، بل كانت اكثر من ذلك فهي وصف حينا، وهي تاريخ حينا.. وهي أدب وشعر بعض الاحايين وهي على ذلك خلو من اللغو ومن اللهو.. يبدو لك من ورائها البتنوني رجلا جادا، ولكنه لبق الحديث، بارع اللفتة.. لا تمل حديثه.. ولا تكره استطراده.. إذ تلمس منه أنه يريد مع امتاعك افادتك.. كما تلمس أنه كاتب ذو شخصية.. يبدي رأيه الشخصي كلما عرج على موقف تاريخي هام.. ليقول ان هذا كان خطأ، أو أنه كان صوابا.. فهو مثلا، عندما يذكر ما دأب عليه بعض الأمراء والحكام العرب في الأندلس من الزواج بالاسبانيات، أو التسري بهن، وعندما يذكر النتائج الحسنة لمثل هذا الازدواج بين الدم العربي والاسباني.. لا يفوته ان يذكر ما كان لهذا الازدواج أيضا من نتائج سيئة.. على المدى البعيد.. حينما بدأ الضعف يتسلل الى الحكام العرب.. فلعبت الأمهات الاسبانيات دورهن في تمكين قومهن من رقاب الأمراء العرب.. عن طريق أبنائهن.. وعن طريق سلطاتهن في القصور.. فخذلن، وارجفن ومهدن الطريق لطرد العرب من الفردوس.

إن رحلة البتنوني لون طريف ممتع من أدب الرحلات في العصر الحديث.. ذلك اللون الذي يبعد عن الوصف التقريري الممل.. لقد نبغ في العصر الحديث بعض السنادبة ان جاز ان يكون جمع سندباد على هذه الصيغة، فهل كان لنا بين هؤلاء سندباد؟

السندباد الجديد

لست أذكر الآن بالضبط من كتابنا من أغرم بالرحلات، وارتياد بلدان العالم، ونقل مشاهداته الى القراء في كتاب مطبوع.. وان كنت اعرف ان عددا ما - يبدو كبيرا - من كتابنا وصحفيينا قد نشروا بعض انطباعاتهم ومشاهداتهم عما رأوا من بلاد الله.. كما فعل الاستاذ العريف حينما زار الهند.. وكما يفعل جواب الآفاق الاستاذ شكيب الاموي كلما زار بلدا من بلاد العالم.. فقد ذكرتني رحلة البتنوني عن الاندلس بما كتبه الاستاذ شكيب عن اسبانيا.. وان كنت لا استبعد ان يكون قد طبع رحلته في كتاب.. فهو نشط في طبع آثاره ويبدو أنها هي الأخرى نشطة في التوزيع والاختفاء.

أما السندباد الجديد الذي يسهم لبلادنا في أدب الرحلات فهو الكاتب الأديب الاستاذ في مشرق او مغرب.. تراه حينا على شواطئ المحيط الهادي عند مطلع الشمس، حيث ذر قرنها، تطلع على الدنيا في كيمونو ساحر النسيج، شفاف الرؤى، ثم تراه حينا في بلاد الافيال والاقيال.. حيث تتعطر الاجواء بشذى الشاي، في الهند والسند والتايلاند، وما يلي ذلك، أو ما يلي ذلك.. حتى تجده مرة أخرى على شواطئ الاطلسي او بحر ابو الضلمات كما هو في أساطير الجدات.. ومن هناك يغازل غادتين حسناوين، ليس بينه وبينهما الا حفنة من الماء استهولها اهل الارض فسموها المحيط الاطلسي.. ولم يبق فيما اعلم إلا أن يشد السندباد الجديد على عصاه ليصل الى ذينك الغادتين ليحدثنا عن العالم الجديد بمثل هذا الحديث الطريف اللطيف الذي امتعنا به بعد ان رحل رحلاته في آسيا أو رحلاته في أوروبا، حيث قرأت طرفا من هذه وتلك في الصحف المحلية، ثم قرأت فصولا من كتابه "أيام في الشرق الأقصى" وهو الكتاب الذي يضم رحلته الى مشارق الشمس.. فقد تفضل فاطلعني على ما وصل اليه من ملازم هذا الكتاب الذي تتولى احدى مطابع بيروت طبعه واخراجه.

والفصول القلائل التي قرأتها من الكتاب لا تتيح لي أن اتحدث عنه حديثا وافيا او ناقدا، وان كنت قد قرأت الكثير من تلك الفصول مقالات مسلسلة في صحيفة الندوة الغراء كما اذكر ولكني اعلم ايضا ان السندباد الجديد حين اعتزم ان يخرج كتابه هذا اضاف.. ونسق.. فاختلفت المقالات من الفصول.

والميزة الكبرى التي تبعث الشوق الى كتاب "ايام في الشرق الاقصى" تكمن في صراحة الكاتب البارع.

فقد دأب السندباد الحديث كلما كتب، ألا يواري عن قرائه شيئا، بل أنه لا يوارب وصراحة كهذه كثيرا ما تعوز كتاب الرحلات.. الا انها صراحة لا تصل درجة التبذل، في الوصف ولا تتطرق الا الى الجوانب المشرقة، الا ان يكون هنا ظل، وهناك لمحة.

ولما يهتم الاستاذ السيد علي فدعق أو السندباد الجديد.. بوصف البلاد التي يرى.. ونمط الحياة فيها.. والمفارقات التي تصادفه.. فإنه يهتم ايضا بلقاء الشخصيات الكبيرة ذات الاثر في المحيط العربي والاسلامي فيسعى مثلا الى لقاء الشيخ محمد زينل مؤسس مدارس الفلاح حيث يجد من نفسه من حوافز الوفاء لحقه عليه ولحقه على بلده ان يزوره، فيفعل، ويجد من نفسه مثل تلك الحوافز لكي يزور العلامة الكبير السيد أبا الحسن الندوي، حيث يجد من واجب الوفاء للصداقة والوفاء للعلم ان يزوره فيفعل ايضا.. ولا يعبأ في سبيل ذلك بمشقة، فيظل يحمل عصاه من بلد الى بلد.. واحسبه الآن قد حملها من جديد.. ومن يدري فلعله يكتب كتابه الآخر "أيام في الغرب الأقصى" ومن يدري فقد يلتقي الشرق بالغرب، برغم مزاعم "كبلنج".